

# ملامح الحياة الحضارية الإسلامية في بلاد الأرخيل ( إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً )<sup>(\*)</sup>

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(\*) دراسة منشورة في كتاب: الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو :

إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً (ق ١ - ق ١٠ هـ / ق ٧ - ق ١٦ م) ، لغيثان بن جريس ( الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م ) ، ص ص

# الفصل السادس

ملاح

الحياة الحضارية الإسلامية

في بلاد الأرخبيل

( إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً )

## أولاً : تمهيد

ليس الحديث عن المظاهر الحضارية في إندونيسيا وماليزيا خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه ، مما يتأتى بيسر وسهولة ، وإنه لفي حاجة إلى جهود كبيرة وشاقة ، يُجمع فيها شتات المعلومات من المصادر التقليدية والأثرية الملايوية . ويولي ذلك فحص المصادر العربية ، وهي قليلة وأحياناً نادرة، أما ما سواها من المراجع والدراسات المختلفة وبخاصة البحوث الغربية فهي مفيدة منها إلى حد ما ، ولكن يجب التعامل معها بحذر شديد حتى يستخلص منها ما كان صحيحاً ، والابتعاد عن الكثير من التحليلات والآراء والتفصيلات التي دونها مستشرقون غربيون بدافع من أغراض سياسية وعقدية ؛ إذ الطابع الغالب على مثل هذا النوع من الدراسات التعصب والكراهية والحقد على الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>

وفي هذا الفصل نورد دراسة مختصرة لبعض مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد الأرخبيل ( إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً ) ، مع العلم أن هذا الموضوع واسع زماناً ومكاناً ، وجددير بأن يخرج عنه عشرات الكتب والدراسات العلمية والأكاديمية. والمحاور التي سوف نتعرض لها تشمل جوانب سياسية وإدارية ، واجتماعية ودينية ، واقتصادية ، وثقافية وفكرية .

(١) هناك عشرات بل مئات الدراسات الغربية التي كُتبت عن الشعوب الإسلامية في الشرق . وكثير من أصحاب هذه البحوث يدعون الحيادية والزاهة والالتزام بالمنهج العلمي ، وهم صادقون أحياناً وبخاصة في الجوانب العامة ، أما ما يمس عقائدهم ومصالح بلادهم ، وسياسات دولهم في احتكار الشعوب واحتلال بلادهم، فهم غير محايدين وإنما ينساقون وراء أهوائهم ورغباتهم الاستعمارية . وهذه سياسات لازالت تُشاهد حتى اليوم في العلاقات بين دول الغرب الصليبية وبلدان العرب والمسلمين في جميع أنحاء الكرة الأرضية .

## ثانياً : ملامح الحياة السياسية والإدارية :

تأكد لنا في الكثير من المصادر والمراجع المختلفة أن بلاد الملايو وقعت تحت سيطرة القوى والحضارة الهندوكية البوذية منذ مئات السنين قبل الإسلام .<sup>(١)</sup> وكان كل من العرب والهنود والصينيين قد عرفوا بلاد الأرخييل منذ القدم ، ولكن الجنس الهندي فاق باقي الأجناس الأخرى عندما استطاع أن يفرض نفسه سياسياً وحضارياً على عموم أرض وشعوب بلاد الملايو<sup>(٢)</sup> . وظهر العديد من القوى والحكومات الهندوكية والبوذية التي حكمت بلاد الأرخييل حتى زمن القرون الإسلامية الوسيطة<sup>(٣)</sup> . وكانت طبيعة الحكم الهندوكي لبلاد الملايو ، هي السياسة الهندوكية العامة ، وطبيعتها تسلط فئة محدودة وقليلة ، هم الملوك والأمراء الهنادكة وحاشيتهم على جميع هذه الفئات العامة التي تُسخر وتُستغل للقيام على خدمة الطبقة الأرستقراطية الحاكمة<sup>(٤)</sup> .

واستمر حكم الممالك الهندوكية والبوذية لبلاد الأرخييل خلال القرون الإسلامية الأولى ، مع أن الدعاة والتجار المسلمين الأوائل وصلوا إلى الأجزاء الغربية من الأرخييل منذ القرن الهجري الأول ( السابع الميلادي ) ، إلا أن نفوذهم بقي

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن وصول الهندوكية والبوذية إلى أرخييل الملايو وهيمنتها على أرض وسكان تلك الجزر ، انظر : رحمت ، حاج ، ص ٢٩٦ ، رياض ، محمد ، ص ١٣٧ ، فخر الدين ، فؤاد محمد ، ص ١٢ ، ١٣ . Soeroto , Vol .I,PP.4.5 ff Kartodirdirdjo ,Vol. II, PP 262 ff.

(٢) المصادر والمراجع نفسها . للمزيد انظر ، سميت ، ديتس ، ص ٤٩-٥٠ سامة ، روسقي ، ص ١٩٨ ، عبد الكريم ، صفية بنت الحاج ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) هناك العديد من الممالك الهندوكية والبوذية التي حكمت بلاد الأرخييل منذ عصور ما قبل الإسلام حتى القرن ( ١٥هـ / ١٥م ) . للمزيد انظر : ، كيا ، عبد الوهاب ، ص ٢٣-٢٤ ، طه ، مرزوقي ، ص ١٣٦ وما بعدها ، الحبشي ، عبد القادر ، ص ٦-٩ ، علوان ، توفيق . إندونيسيا ، ص ١٦ ، ١٧ حسن ، محمد كمال ، ص ٤٢ ، شاکر ، محمود . إندونيسيا ، ص ١٧ .

(٤) انظر : رحمت ، حاج ، ص ١٩٦ . VLeke,B,PP.19,20,21f

محصوراً في المدن والمرافئ الساحلية في جزر شبه الجزيرة الملايوية ، وسومطرة<sup>(١)</sup> وبقي تأثيرهم السياسي والإداري محدوداً على بني جنسهم ، وأحياناً كان يمتد إلى من يتصل بهم من التجار المسلمين المحليين ، أو أسرهم التي تكونت بعد زواج بعضٍ منهم من نساء ملايويات<sup>(٢)</sup> . واستمرت السيادة السياسية والإدارية العامة للسلطات البوذية والهندوكية ، مع بقاء التجار والدعاة المسلمين يمارسون دعوتهم وتجاراتهم في هدوء ، بعيد عن الأضواء أو الصدامات السياسية والفكرية ، وكان سلاحهم الالتزام بسلوك الإسلام علماً وعملاً ، وهذا مما جعل سكان البلاد الأصليين يقارنون بين الديانتين البوذية والهندوكية المتسلطتين ، والبعيدتين عن تلمس أحوال الناس وحل مشاكلهم<sup>(٣)</sup> ، والدين الإسلامي الذي جاء به هؤلاء المسلمين القادمون ، وما يشتمل

(١) عرف التجار العرب بلاد الملايو منذ عهد قديمة قبل الإسلام ، فكانوا من رواد التجارة في العالم ، وعند مجيء الإسلام ، لم يلقوا أي عناء في الاتصال بسكان غرب الأرخبيل ، بل كان بعضهم مع أجناس أخرى كالفرس والهنود قد استقروا منذ وقت مبكر في موانئ ماليزيا الغربية والأجزاء الشمالية من جزيرة سومطرة . انظر السيرا في ، سليمان التاجر ، ص ١٨ ، ابن الفقيه ، ص ٢١٦ ، السيرا في ، أبو زيد ، ص ٥٨٩ ، مخول ، قيصر أديب ، ص ٣١ ، الحسيني ، السيد علوي . المدخل إلى تاريخ الإسلام ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) للمزيد انظر : أرنولد ، سير توماس ، ص ٤٠٣ ، عبد الرؤوف ، محمد ، الملايو ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، الحبشي ، عبد القادر ، ص ٢٢٥ .

(٣) تختلف البوذية والهندوسية اختلافاً كلياً عن الإسلام . وهاتان الديانتان قد وصلتا إلى بلاد الأرخبيل منذ عهد قديمة قبل الإسلام ، إلا أنهما لم تتغلغلا في قلوبهم . فالديانة البوذية وصلت إلى بلاد الملايو بهدف التبشير ، ولكن دعائها في الأساس يفضلون العزلة والانطواء في معابدهم بغرض التأمل والتفكير بعيداً عن الضوضاء وصخب الحياة . أما الهندوسية فكانت ديانة فوقية ارتبطت طقوسها التعبدية بالطبقة الحاكمة التي كانت تبذل ما في وسعها لتسخير عامة الشعب في خدمتها . وهذا المنهج عند دعاة هذه الديانة منعها من الانتشار . وعند مجيء الإسلام إلى بلاد الملايو كان على العكس تماماً من سلوك ومبادئ هاتين الديانتين ، وبسماحته ، وشوئيته ، وبساطته اعتنقه معظم طبقات الشعب . للمزيد انظر : رحمت ، حاج ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، طه ، مرزوقي ، ص ١٣٧ وما بعدها ، أبو شوك ، أحمد ، ص ٦٧ .

عليه من مبادئ وفضائل كثيرة تصب في خدمة الفرد والجماعة ، وترفع من شأن الإنسان ، وما خلق من أجله <sup>(١)</sup> . وهذا مما جعل المسلمين يتكاثرون في نواحي الأرخبيل ، ولم يبق الإسلام مقصوراً على سكان الموانئ ، أو فقراء الناس وعامتهم ، وإنما وصل منازل وقصور الأمراء والملوك الهنادكة ، الذين أخذوا يطيلون التأمل والتبصر في هذا الدين السماوي ، فدخلوا فيه ، وتزايدت أعدادهم حتى صاروا قوة سياسية وإدارية مؤثرة . <sup>(٢)</sup>

ومنذ القرنين (٦-٧ هـ / ١٢-١٣ م ) ظهرت إمارات وحكومات إسلامية في شمال سومطرة <sup>(٣)</sup> ، وتوالى قيام الممالك الإسلامية خلال القرون التالية ( ٨-١١ هـ / ١٤-١٧ م ) حتى عم الإسلام جميع جزائر إندونيسيا وماليزيا ، وصار الدين الإسلامي ، هو الدين السائد والرسمي في عموم هذا الأرخبيل <sup>(٤)</sup> .

والتأمل في الوضع السياسي والإداري لبلاد الأرخبيل خلال سيطرة الحكم الإسلامي في العصور الإسلامية الوسيطة ، يجده لا يختلف كثيراً عن نظم الحكم والإدارة في باقي العالم الإسلامي آنذاك ، وبخاصة تلك الحكومات الإسلامية القديمة في مناطق غرب آسيا وأجزاء من إفريقيا مثل : حكومات بني أمية ، وبني العباس ، والمماليك وغيرهم <sup>(٥)</sup> . والمدقق في طبيعة الوضع الإداري في جميع الحكومات

(١) للمزيد انظر : عبد الرؤوف ، محمد . " الإسلام في عالم الملايو " ص ٨٧ ، يوسف ، علي محمد ، ص ٣٧ ، سامه ، روسني ، ص ١٩٠ ، حسن ، محمد كمال ، ص ٤٢ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية - ( النسخة الإنجليزية ) ، ج ٣ ، ص ١٢٢٥ .

Leur, V, PP.113,165, Kartodirdijo. Vol. II, PP.229,257. VoL. III, 115,257.

(٣) للمزيد عن قيام الممالك الإسلامية في شبه الجزيرة الملايوية ، وجزر ( إندونيسيا ) ، انظر : تفصيلات أكثر في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٤) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٥) يبدو أن حكام وملوك الممالك الإسلامية في إندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ( ماليزيا الغربية ) كانوا يسرون في حكم بلادهم على نهج الشريعة الإسلامية مقلدين في ذلك حكومات بني العباس وبني أمية وبني عثمان ، بل كانوا يروغهم المرجعية الرئيسة لحكوماتهم الإسلامية في بلاد الأرخبيل .

الإسلامية التي ظهرت في بلاد الأرخبيل يجد أنها اتصفت بالعديد من الصفات نذكر من أهمها :

١- كان السلطان أو الملك رأس السلطة ، وإليه يرجع كل موظفي الدولة من الأمراء ، والوزراء ، والحجاب ، والكتّاب والقضاة ، والدعاة وغيرهم من مؤسسات المملكة<sup>(١)</sup>. كان سلاطين ممالك الأرخبيل الإسلامية حريصين على الاقتداء بنظم الحكم والإدارة التي كانت تُمارس في بلدان الشرق الأوسط الإسلامية ، وكان بعضهم يفد على خلفاء وسلاطين الإسلام في الغرب الإسلامي حتى يتشاوروا معهم في أوضاع المسلمين في بلاد الملايو ، وأحياناً تعقد اجتماعات واتفاقيات لصالح الإسلام والمسلمين وبخاصة في هذه البلاد الإسلامية النائية ، كإندونيسيا وماليزيا وما جاورهما<sup>(٢)</sup>

٢ - كان القضاة والدعاة وطلاب العلم والتجار من المقربين لملوك البلاد ، وأحياناً من المستشارين الخاصين لكثير من حكام الأرخبيل. ومعظم تلك الفئات كانوا من العرب ، أو الفرس ، أو الهنود الأوائل من المسلمين ، وهذا السلوك من السلاطين يتم عن معرفتهم الراسخة بدور هذه الشرائح ومكانتها وأهميتها في تبصير الناس بأمر دينهم ، ناهيك عن أنهم كانوا الرواد في نقل الإسلام من بلاد العرب ، وفارس والهند

(١) أيضاً كان الملك في ( الحضارة الهندوكية يأتي على رأس هرم الدولة ، لكن الملك أو الخليفة في العصر الإسلامي كان يختلف عن ملوك الهندوكية الذين يستمدون سلطتهم من قوانينهم الوضعية التي تخدم مصالحهم . أما خلفاء وولاة وحكام المسلمين فكان دستورهم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وما خرج عنهما فهو باطل وغير صالح .

(٢) ورد معنا في بعض فصول هذا الكتاب أحياناً نماذج من الصلات مع بعض ملوك وسلاطين بلاد الملايو وسلاطين بني عثمان الذين كانوا حريصين على مساندة الإسلام وانتشاره في بلاد الأرخبيل . للمزيد

انظر : شلبي ، رؤوف ، ص ١١٣ ، الحبشي ، عبد القادر ، ص ٤٩٦ ، ٥٠٧ ، **Said, M. Atjeh** , PP. 111,112, Kartodirdjo,D. Vol. III, P. 340 .

إلى بلاد الملايو . وهم وأمثالهم من أخرج بلاد الأرخييل من ظلم الحكم البوذي والهندوكي إلى رحمة الإسلام وشموليته<sup>(١)</sup> .

٣ — الملاحظ على الدول الإسلامية في بلاد الملايو أنها سنت أنظمة وقوانين تخالف العقائد الهندوكية والوثنية البالية ، وهذه الأنظمة والقوانين مستقاة من مصادر الإسلام الرئيسية . وأكبر مثال على ذلك ما دونه ابن بطوطة عندما زار سلطان مملكة سامودرا باساي ، الظاهر الثاني ، خلال القرن (٨هـ/١٤م) ، فقال عنه : (( هو السلطان الملك الظاهر ، من فضلاء الملوك وكرمائهم ، شافعي المذهب محب في الفقهاء ، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الجهاد والغزو متواضع ، يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه ، وأهل بلاده شافعيون محبون في الجهاد ، يخرجون معه تطوعاً ، وهم غالبون على من يليهم من الكفار ، والكفار يعطونهم الجزية على الصلح ... ))<sup>(٢)</sup> .

هكذا كان منهج جميع الممالك والإمارات في بلاد الأرخييل أن اتخذت من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية على مذهب الإمام الشافعي طريقاً تسير عليه جميع مؤسسات الحكومة الإسلامية . ونجد أن مملكة ملقا (نهاية ق٧-١٠هـ/١٣-١٦م) تظهر بعد مملكة سامودرا باساي وتمتد نفوذها على جميع أجزاء شبه الجزيرة الملايوية

(١) كان معظم سلاطين دول الإسلام في بلاد الأرخييل حريصين على التقرب من الدعاة والعلماء وطلاب العلم بل إن بعضهم يعد من العلماء الكبار الذين يعقدون الحلقات الفكرية والمجالس العلمية المختلفة. للمزيد عن أعمال وصفات أولئك الحكام انظر أمثلة كثيرة في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٠٦ . ويذكر ابن بطوطة تفصيلات أخرى كثيرة حول الجوانب العقديّة ، والاقتصادية ، والثقافية ، والفكرية التي كانت سائدة في دولة سامودرا باساي . وهي جميعها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وما يتعارض مع هذين المصدرين وبخاصة من المعتقدات الهندوكية والبوذية القديمة كان يقابل بالرفض وعدم القبول . المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ وما بعدها . انظر أيضاً كل ما ذكر ابن بطوطة من مشاهدات خلال زيارته لدولة سامودرا باساي في قسم الملاحق من هذا الكتاب .



( ماليزيا الغربية ) وأجزاء من جزر إندونيسيا وبخاصة سومطرة ، ثم تصدر قانوناً عاماً لجميع نواحي المملكة عُرف ( بقانون ملقا )<sup>(١)</sup> ، وهو يشتمل على بنود وأحكام شرعية عديدة ، معظمها مستقى من الكتاب والسنة ، والفاحص لبنود هذا القانون يجدها بمثابة الدستور الذي يحكم المملكة ، والهدف من ورائه هو أن يكون دين الدولة هو التوحيد الذي يخلص العبادة لله الواحد القهار ، ويحفظ دماء وأعراض وأموال رعايا البلاد<sup>(٢)</sup>

واستمر الحكم الإسلامي على هذا النهج ، يتخذ من الكتاب والسنة ، وأحكام الشريعة القانون الفاعل المعمول به في جميع أنحاء إندونيسيا وماليزيا حتى جاء الغزاة الغربيين فمثلاً البرتغاليين ثم الهولنديين ، فعملوا على خلخلة الأنظمة في البلاد ، وبذلوا ما في وسعهم في سبيل فرض بعض الدساتير التي لا تتوافق مع الشريعة الإسلامية وقد نجحوا إلى حد ما ، إلا أن المجاهدين المسلمين الصادقين حاربوهم وتصدوا لهم ، ولكن من المؤسف أن ظهر من أبناء البلاد الأصليين من تبني سياسة الغرب وعمل على تغريب قوانين البلاد حتى أصبح الكثير منها محرّفاً أو وضعياً بعيداً عن منهج القرآن والحديث الشريف<sup>(٣)</sup>

(١) إن السائح أو الزائر لمدينة ملقا التاريخية في ماليزيا يلمس حضارة وعراقة دولة ملقا الإسلامية ، وذلك يظهر واضحاً في تراث المدينة ، وآثارها ، وما يحتويه متحفها التاريخي من المخطوطات والوثائق والآثار العينية . كما أنه يجد بنود ( قانون ملقا ) مفصلة في بعض الوثائق الموجودة في المتحف . مشاهدات الباحث أثناء زيارة ملقا في بعض الفترات المتقطعة من عامي ( ١٤٢٨-١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨-٢٠٠٩ م ) .

(٢) للمزيد انظر: كيا ، عبد الوهاب ، ص ٤٩ ، شلي ، رؤوف ، ص ٦٧-٦٨ ، عبد الرؤوف ، محمد ، الملايو ، ص ٤٦ ، قطاني ، عبد الغني " التاريخ السياسي الإسلامي لدولة ملقا " ، ص ٧٠-٧١ .

(٣) إندونيسيا واتحاد ماليزيا من الدول الإسلامية حتى اليوم ، لكن الفاحص للكثير من قوانينها ودساتيرها يجد العدول الواضح فيها ، ومن يتجول في ربوعها يشاهد أيضاً الكثير من المعاملات والعادات والتقاليد الاجتماعية التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية . وهذه كارثة بُلي بها الكثير من بلدان العرب والمسلمين ، مع العلم أن الإسلام هو الدين الرسمي في معظم هذه الحكومات الإسلامية والعربية ، ولكن أعداء الله من الشرق والغرب استطاعوا ونجحوا في اختراق قوانين وأنظمة الكثير من بلدان العالم الإسلامي . ومن ثم أصابنا الوهن والانحطاط بعد أن ابتعدنا عن المصادر الرئيسة لديننا الحنيف .

### ثالثاً : ملامح الحياة الدينية والاجتماعية :

كان لما امتاز به الدين الإسلامي من يسر وسماحة ومساواة بين البشر الفضل في إقبال سكان بلاد الملايو على الإسلام ودخولهم فيه ، وبخاصة بعد أن وصل الدعاة المسلمون إلى قصور السلاطين والملوك والرؤساء ، ومن ثم انتشر بينهم ، وكان لوقوف الدعاة وطلاب العلم إلى جانب سلاطين البلاد ، وعكوفهم على توجيه وتعليم أبناء البلاد مبادئ الإسلام وعلومه وأحكامه فضلاً آخر. كل ذلك أدى إلى تكاثر دخول الناس في الإسلام ، وترك ما كانوا عليه من أديان أخرى ، والتزامهم بأداء شعائر الإسلام<sup>(١)</sup>

وقد قدم الرحالة ابن بطوطة مثلاً جيداً لملامح الحياة الدينية والاجتماعية في بلاد الملايو بعد التحول إلى الإسلام ، من خلال ما أورده من تفصيلات دقيقة عن مجتمع سامودرا باساي والتزامه بالقوانين والأحكام الشرعية كما جاءت في القرآن والسنة . فتراه يصف السلطان وحاشيته وعلاقتهم بالمجتمع ، وكيف كان السلطان الظاهر الثاني عاملاً بشرع الله ، عاكفاً على دراسة وتدارس العلوم الشرعية<sup>(٢)</sup> . وإذا كان هذا حال سلطان البلاد ، فكيف بحاشيته ورجال دولته ، في ظل ما نعرف من مشاكلة الناس لزماتهم — على حد تعبير المؤرخ اليعقوبي — وكما تقول العبارة المأثورة: ( الناس على دين ملوكهم )<sup>(٣)</sup>

(١) كانت الوثنية سائدة في بلاد الملايو ، بالإضافة إلى الهندوكية والبوذية ، اللتين كانتا ذواتي أثر كبير في أوساط الملوك ورؤساء البلاد وعلية القوم منهم ، دون عامة الشعب . ومن ثم لم تؤثر إلا في الجوانب المادية الملموسة من العادات والتقاليد والأعراف . أما الجانب الروحي لتلك الديانات فلم يتغلغل إلى قلوب الناس ، لأنها قامت على النواحي المادية والمصالح الشخصية دون أن تهتم بالعقل والروح معاً . للمزيد انظر : رحمت، ج، ص ٢٦٥ ، ٢٩٦ ، سامه ، روسني ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، طه ، مرزوقي ، ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٠٦ — ٧٠٧ .

(٣) المصدر نفسه .

أما التحولات الاجتماعية الإسلامية فقد حلت محل النظم والأوضاع الاجتماعية الوثنية والهندوكية والبوذية التي كانت متسلطة على رقاب الشعب ، وأصبح الفرد الملايوي يشعر بإنسانيته بعد أن كان يعيش حياة دونية تحت طائل الفقر ، والقهر ، والجهل والتعذيب . وأصبح الحاكم والمحكوم سواسية في نظر العدالة الإسلامية. وتحول المجتمع الملايوي من مجتمع جاهل بدائي إلى شعب تسوده الحضارة والرقى والتطور في جميع أنماط الحياة<sup>(١)</sup> . وأصبحت القصور والمنازل الإسلامية ، وكذلك المساجد مواطن للاجتماع والعبادة والتآخي تحت مظلة الإسلام . بل تغير وجه الأرض في بلاد الأرخبيل حتى صارت جميع العادات والتقاليد، والتعاشيش اليومي، وكذلك أنماط الحياة الاجتماعية الأخرى من عمارة الأرض ، وأساليب اللباس ، والطعام والشراب ، ومناسبات الزواج ، والأعياد ، والاحتفالات الخاصة والعامة كلها مؤطرة بأحكام الشرع الخفيف . ونلاحظ ما جرى في حكومة ملقا ضمن قوانينها الرئسية<sup>(٢)</sup> وما ذكر وما شاهد ابن بطوطة في بلاد سامودرا باساي<sup>(٣)</sup> ، كل هذا يُعد أكبر دليل على هذا

(١) المتجول في نواحي إندونيسيا وماليزيا اليوم ، والزائر لمناحها ، والمدقق في موروثها الشعبي يجد بصمة السدين الإسلامي واضحة وملموسة بشكل كبير . مع أن هناك من أعداء الإسلام من سعى ولازال يسعى إلى طمس الهوية الإسلامية التي لازالت تتمتع بها بلاد الأرخبيل حتى وقتنا الحاضر . مشاهدات الباحث أثناء تجواله في كثير من نواحي بلاد ماليزيا وإندونيسيا خلال الأعوام ( ١٤٢٨ - ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩ م ) .

(٢) شمل قانون ملقا - كما أشرنا سابقاً - في تشريعاته كل أنماط الحياة في البلاد ، ورسم العلاقة بين أفراد المجتمع على منهج رباني عظيم ، هو دين الإسلام . انظر ببود ذلك القانون لدى : كيا ، عبد الوهاب ( نقلاً من مقالة محمد يوسف هاشم " الإسلام في التاريخ التشريعي لولاية ملقا ما بين القرنين (١٥ - ١٦ م) منشورة في مجلة الإسلام في ماليزيا للجمعية التاريخية الماليزية كوالالمور ، انظر تفصيلات أكثر في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٣) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٠٦ - ٧٠٩ . نجد الكثير من التفصيلات الاجتماعية في قانون ملقا التشريعي ، وكذا فيما شاهد و ذكر ابن بطوطة مثل : بعض عادات الطعام والشراب ، واللباس ، والمناسبات والاحفالات في الأعياد ، والزواج ، والنصر والجهاد ، وتفصيلات أخرى حول العلاقات الاجتماعية بين الراعي والرعية ، وتطبيق الكثير من الأحكام الشرعية ، وتعامل المسلمين مع غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى . وكل هذه الممارسات والنشاطات تطبق حسب منهج القرآن الكريم والسنة النبوية على مذهب الإمام الشافعي ( رحمه الله ) انظر تفصيلات أكثر في قسم الملاحق في نهاية هذا الكتاب .

التحول والتطور الاجتماعي الإسلامي العظيم الذي ساد وتجدد في الكثير من بلاد الأرخبيل<sup>(١)</sup>

### رابعاً : ملامح الحياة الاقتصادية :

تمتاز بلاد إندونيسيا وماليزيا بطبيعة خلابة ، فالمياه العذبة تتخللها وتحيط بجزرها من كل جانب . والغابات الكثيرة والمتنوعة منتشرة في جميع أنحاء البلاد . والتربة الصالحة للزراعة تتوفر في الكثير من نواحي الأرخبيل . وقد جعلت هذه المميزات من جزائر ماليزيا وإندونيسيا مكاناً صالحاً للكثير من النشاطات الاقتصادية مثل : الجمع والالتقاط ، والصيد البري والبحري ، وممارسة زراعة الكثير من المحاصيل الزراعية<sup>(٢)</sup>

أما التجارة فهي أهم مجال اقتصادي يهمننا في هذا الكتاب لأن التجارة والتجار العرب والمسلمين الأوائل ، هم الذين حملوا تجارتهم وسلعهم المختلفة مع

(١) من ملامح تأثير شعب الملايو بالإسلام أهم غيروا أسماء أبنائهم من الأسماء البوذية والهندوكية القديمة إلى أسماء عربية . ومثال ذلك لفظ (AWANG) ، وهو اسم شعبي هندوكي ، غيرهوه إلى بكر أو محمود . والألبسة ، أو الأطعمة ، أو الكثير من العادات الفاسدة استبعدها ، واستبدلوا بدلاً منها عادات وألبسة وأطعمة إسلامية لا لبس فيها ، ويمكن القول إن المجتمع الإسلامي الملايو منذ اعتنق الإسلام إلى اليوم لازال مجتمعاً متمسكاً بالإسلام ، وإن كان دخل اليوم الكثير من التقاليد والعادات المناهية للإسلام ، وليس ذلك فقط في بلاد الأرخبيل ، وإنما في عموم بلاد المسلمين . والغريبيون حريصون على السعي بالفساد في بلدان المسلمين ، ورأينا البرتغاليين أول من سعى إلى تدنيس بلاد الإسلام والمسلمين في أرض الأرخبيل ، وللأسف فإن من أبناء المسلمين من هو شوكة في ظهور أبناء دينهم ، وأداة طيبة في أيدي أعداء المسلمين من النصارى واليهود والملحدن .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن طبيعة بلاد الملايو ( إندونيسيا وماليزيا ) ، وعن نشاطاتها الاقتصادية ، وما يوجد فيها من حيوانات وطيور ، وما يزرع فيها من محاصيل زراعية متنوعة ، وما يتوفر في غاباتها من نباتات ، وأزهار ، وأشجار يُستخلص من بعضها الكثير من المواد والسلع الثمينة مثل : المطاط ، والكافور ، والصندل ، والعود الجاوي ، وكذلك العديد من التوابل الجيدة والغالية ، انظر : السراي ، سليمان التاجر ، ص ٩ ، ابن سعيد المغربي ، ص ٤٠ ، ١٠٧ ، سميت ، ديتس ، ص ١٩ - ١٣٥ الحبشي ، عبد القادر ، ص ٣ ، شاکر ، محمود . إندونيسيا ، ص ١١ - ٢٠ ، المؤلف نفسه . اتحاد ماليزيا ، ص ١٣ وما بعدها .

معتقدهم ( الإسلام ) إلى بلاد الملايو ، فكانوا أصحاب الفضل الأول في نقل دين الإسلام إلى شعوب الملايو . لقد كانوا يجوبون البحار شرقاً وغرباً من قبل ظهور الإسلام إلى أطراف بلاد الملايو الغربية ، واتصلوا بالهند والصين منذ القدم<sup>(١)</sup> . ويشير أحد الباحثين الملايوين إلى التجارة وأثرها في نشر الإسلام في أرخبيل الملايو ، فيقول : (( ترجع العلاقات بين العرب وأرخبيل الملايو إلى أزمنة قديمة ، مرت بمراحل عدة ، ففي المرحلة الأولى كانت العلاقات تتمثل في العلاقة التجارية أو الاقتصادية ، وهي أقدم علاقة بينهما ، وأبرز الوسائل التي انتقلت بواسطتها تيارات التراث العربي الإسلامي إلى أرخبيل الملايو . ثم تاتي المرحلة الثانية الخاصة بالعلاقات الدينية والسياسية نتيجة للعلاقات التجارية ، وهذه العلاقة تتمثل في فترة وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو وانتشاره ، ونشوء الدول الإسلامية فيها ، وهي فترة استقبال أبناء البلاد الدين الإسلامي وتأثيره . ثم تبرز المرحلة الثالثة في التأثير الديني والعقلي ، وهي فترة الاستيعاب والانعكاس والتفاعل بين تأثير العناصر العربية الإسلامية في الأدب الملايوي ، وظروف عزوف الأدب الملايوي عن العناصر الهندية ))<sup>(٢)</sup> .

وإذا تأملنا أهمية الحياة التجارية في بلاد الملايو ، وما نتج عنها من جوانب جيدة على الشعوب الملايوية نلاحظ العديد من الملامح الرئيسة والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ — إن ثراء بلاد الملايو جعل التجار العرب ثم المسلمين ، في العصر الإسلامي حريصين على الاتصال بأرض الملايو كي ينقلوا توابلهم وسلعهم النفيسة وبضائعهم ذات الجودة الرفيعة إلى أنحاء البلاد في القارات القديمة (آسيا ،

(١) انظر : أرنولد ، سير توماس ، ص ٤٠١ — ٤٠٢ ، شلي ، رؤوف ، ص ٣٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ( النسخة الإنجليزية ) ، ج ٣ ، ص ١٢٢٥ ، الحيشي ، عبد القادر ، ص ١٩٤ ، طه ،

مرزوقي ، ص ٢٤ . VLekke, PP. 18, 19, Leur, V. P. 114 .

(٢) انظر سامة ، روسني ، ص ١٩١ .

وأفريقيا ، وأوروبا )<sup>(١)</sup> ومن خلال الاطلاع على بعض الخرائط المنظومة في نهاية هذا الكتاب ، نلاحظ الطرق التجارية البحرية والبرية العالمية التي كانت تربط بلاد العرب ببلاد الشرق ، والتي كان سادتها في الغالب من الجنس العربي وربما الفارسي<sup>(٢)</sup> .

٢ — كانت بلاد الأرخييل في العهد السابق لعصر الإسلام تحت سيطرة الحكومات الهندوكية والبوذية ، وكانت تلك الحكومات تتاجر وتتصل بالتجار العرب عندما كانوا يتزلون في بعض موانئ شبه الجزيرة الملايوية ، وسومطرة الشمالية. وعند ظهور الإسلام كان أولئك التجار قد دخلوا الإسلام، وصاروا يدعون لهذا الدين الجديد في أثناء ممارسة تجارتهم مع سكان الأرخييل ، ومن ثم استطاعوا غرس اللبنة الأولى لأمة الإسلام في بلاد الملايو<sup>(٣)</sup> .

٣— تُعد النشاطات التجارية العربية مع بلدان الشرق الأقصى من أهم المنافذ التي تسربت من خلالها الثقافة العربية الإسلامية إلى إندونيسيا وماليزيا . وبفضل هذه الصلات الاقتصادية بدأت شعوب الملايو حقبة جديدة، وشرعت الحركة العلمية والثقافية ، تؤتي ثمارها حتى أصبح الإسلام هو الدين الرسمي لأغلب

(١) للمزيد انظر: المسعودي ، مروج الذهب ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٥ ، ابن الفقيه ، ص ١٠ ، ابن

رسته ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، أرنولد ، سير توماس ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، عبد الرؤوف ، محمد .

الملايو ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، يوسف ، علي ، ص ٣١ 318 ، Schrieke, B, P. 114, 134, Leur, V, P.

(٢) انظر الخرائط رقم (٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٥) في نهاية هذا الكتاب . وسوف تلاحظ اتجاه الخطوط

البرية والبحرية التي كانت تخرج من بلدان الشرق الأوسط إلى بلاد الشرق الأقصى . كما نشاهد

العديد من الموانئ والمحطات التجارية الرئيسة الواقعة على سواحل البحار بين الصين وجنوب شرق

آسيا من جهة ، وبلاد العرب من جهة أخرى .

(٣) كان الكثير من التجار المسلمين الأوائل عارفين عالمين بالعلوم الشرعية . وأكبر مثال على ذلك أولئك

التجار والدعاة الذين أوصلوا الإسلام إلى نواح عديدة في الشرق الأقصى ، حيث كانوا يبذلون

أغلب أوقاتهم في الدعوة ونشر الإسلام بين من يتكون بهم من غير المسلمين ، وقد نجحوا فيما كانوا

يسعون إلى تحقيقه فهذه ماليزيا وإندونيسيا الإسلاميتان من أكبر إنجازاتهما الحضارية الدعوية .

شعوب الأرخييل ، وأدى ذلك إلى رسوخ الحضارة والثقافة العربية والإسلامية بينهم<sup>(١)</sup> .

والناظر في أحوال الدول الإسلامية في بلاد الملايو يجدها أولت الحياة الاقتصادية اهتماماً عظيماً ، وانطلقت من مبادئ شريعة الإسلام التي تؤمن بها ، والتي تعمل على بناء المجتمع الإسلامي في شتى جوانبه ، مع مراعاة البعد عن كل ما يتعارض مع شرع الله<sup>(٢)</sup> . والقارئ للتراث الملايوي ، وبعض المصادر العربية المبكرة ، وكذلك بعض الدراسات الغربية يجد أن التجارة وصلت أوج مجدها في أرخبيل الملايو خلال العصر الإسلامي الوسيط ( ق ٧-١٠هـ / ق ١٣-١٦م )<sup>(٣)</sup> . وتأتي مملكة ملقا على رأس قائمة الممالك والدول الإسلامية في بلاد الملايو ، وذلك لما امتازت به من موقع استراتيجي عرفه معظم تجار العالم آنذاك<sup>(٤)</sup> . ومما عُرف واشتهر عن ملوك ملقا تفانيهم في خدمة التجارة الداخلية والخارجية في شتى الجوانب ، واتضح ذلك في وضعهم الكتاب الخاص بالشؤون الملاحية والتجارية للمملكة ، والمعروف باسم

(١) للمزيد انظر : تفصيلات أكثر في العنصر القادم من هذا الفصل والذي يعكس كيفية تغلغل الصبغة الإسلامية الحياة العلمية والثقافية الإسلامية بين شعوب الملايو .

(٢) إن الأوجه الثابتة في الفكر الإسلامي الاقتصادي كثيرة جداً من أهمها : احترام الملكية الخاصة ، والحرية الاقتصادية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع الإسلامي ، والعمل على التنمية الاقتصادية الشاملة ، وترشيد الاستهلاك والإنفاق . للمزيد انظر : محمد شوقي الفنجري . التعريف بالاقتصاد الإسلامي ( القاهرة : مطابع الأهرام ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ) ص ٢١ ، ٢٢ .

(٣) تُعد هذه الفترة العصر الذهبي لنمو الإسلام وانتشاره في بلاد الأرخييل ، والتاريخ يشهد على ظهور دول إسلامية قوية في بلاد الملايو ، وكان الجانب الاقتصادي من أعظم اهتماماتها ، بالإضافة إلى الجوانب السياسية والحضارية الأخرى التي لم تكن أقل حظاً من غيرها . للمزيد انظر : الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٤) للمزيد عن تاريخ مملكة ملقا السياسي والحضاري انظر : الإندونيسيا ، قهر الدين ، ص ٤٩ ، عبد الرؤوف ، محمد ، الملايو ، ص ٥٢ ، فطاني ، عبد الغني يعقوب " التاريخ السياسي الإسلامي لدولة ملقا " ، ص ٦٥ وما بعدها .

القوانين البحرية للمقا (Un dang Undang Hukum Laut Malaka) وكان من محتويات هذا الكتاب أنه نص على تعيين شاه بندر ( Shah Bandar ) مديراً عاماً<sup>(١)</sup> للإشراف على الأمور التجارية . وعرفت شخصية شاه بندر بكفاءتها العالية في هذا المجال ، وإطلاعه الواسع على المشاكل التجارية والاقتصادية في داخل المملكة وخارجها<sup>(٢)</sup> .

أيضاً نص قانون ملقا على تحديد الضريبة على السلع التجارية ، وقدرها (٦%) من أسعارها ، أما السلع الغذائية والتموينية فكانت معفاة من الضرائب ، كما حدد القانون قدر (١%) فقط ضريبة على الشحنات الصادرة من المملكة . الأمر الذي شجع التجار الموردين والمصدرين على ممارسة تجارة التصدير<sup>(٣)</sup> . وهناك بعض من المستشرقين الذين امتدحوا عالمية ميناء ملقا ، ونوهوا بكونه أعظم وأنشط مدينة تجارية في جنوب شرق آسيا<sup>(٤)</sup> وذلك بفضل الرعاية العظيمة التي كان يسبغها ملوك وحكام مملكة ملقا<sup>(٥)</sup> . على هذا الميناء .

ونجد مملكة ملقا بقوتها السياسية ، ونشاطاتها التجارية حملت الإسلام إلى خارج حدودها ، ونشرته في الجزر المجاورة لها ، وكانت توازر العقيدة بما لها من مكانة مرموقة في موانئ ساحل جاوة الشرقي ، بل امتدت نشاطات ملقا شرقاً حتى وصلت مدن بنجرماسين في في جزيرة كليمانتان ، ومدن ترناتي ، وأمبون ، وتيدوري في جزر

(١) المراجع نفسها ، كيا ، عبد الوهاب ، ص ٤٩ .

(٢) كان يُراعى في من يتولى منصب شاه بندر أن يكون على ثقافة واسعة ، وأحياناً يجيد أكثر من لغة ، بل كان ملوك البلاد يختارون الرجل الأمين الثقة الذي يحرص على حماية وتطوير الاقتصاد في البلاد والقادر على تمثيل مملكته أحسن تمثيل أمام عمالقة التجارة وروادها .

(٣) مسلم ، أحمد بخاري ، ص ٢٣٣ . للمزيد عن النشاطات التجارية في مملكة ملقا ، انظر : فطاني ، عبد الغني يعقوب ، " التاريخ السياسي الإسلامية لدولة ملقا " ص ٦٦ ، ٦٨ .

(٤) انظر : سميت ، ديتس ، ص ٥٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ( النسخة الإنجليزية ) ، ج ٣ ، ص ١٢٥٥

Leur, V,P. 113, Legge, J.P44

(٥) شلبي ، رؤوف ، ص ٦٧ وما بعدها ، طه ، مرزوقي ، ص ٢١١

VLekke, B, PP. 86 , 87, LeggeJ, PP.52,53, Jessy, Joginder, P. 20



مولوكو . وتوطدت العلاقات التجارية والعقدية بين ملقا الإسلامية والقوى الإسلامية في بعض المدن الجاوية مثل : عمقيل ، وجرسيك ، وغيري ، ودماك وغيرها<sup>(١)</sup> .

لكن عندما جاء الاستعمار الغربي ضرب مملكة ملقا في الصميم ، وانتهك الأعراض والقوانين في سبيل تدمير الحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة الملايوية ، والنواحي الأخرى التي وصلها الإسلام . ومع أن القوى الإسلامية في ملقا وفي بعض جزر إندونيسيا حاولت التصدي لهذا العدو الغربي الغازي ، فإنها لم تستطع رد عدوانه فسقطت دولة ملقا الإسلامية ، وحل محلها في ماليزيا الغربية قوة البرتغال الصليبية وهذا مما دفع التجار المسلمين إلى الاتجاه نحو موانئ أخرى في الأرخبيل ، فاتجه بعضهم إلى آتشيه في سومطرة ، وآخرون ذهبوا إلى موانئ بانتن وجرسيك في جاوة ، وواصل آخرون رحلتهم إلى جزر سولاويسي ، ومالوكو وغيرها من أجل ممارسة شؤون تجارتهم ، والعمل أيضاً على نشر الإسلام بين غير المسلمين في تلك النواحي<sup>(٢)</sup> .

وظهرت مملكة آتشيه بعد دولة ملقا ، فقادت مقود الحضارة الإسلامية في بلاد الأرخبيل ، وحرس المد الإسلامي وقامت على حمايته من أعداء الدين ، وقامت على بناء البلاد في شتى المجالات واهتمت بالأوضاع الاقتصادية وحافظت على الأحوال السياسية . كما شكلت دولة آتشيه هيئة عليا هدفها الرقي بالجانب الاقتصادي في البلاد . ولم يكن عمل هذه الهيئة محصوراً فقط في الإشراف على الأمور التجارية داخل البلاد أو خارجها ، بل كانت تتولى الإشراف على المجالات المنتجة في المملكة ، كالزراعة ، والصناعة ، والمعادن ، والملاحة ، وشحن البضائع وإنزالها

(١) انظر : كيا ، عبد الوهاب ، ص ٥٠ - ٥١ ، Legge.J PP.53, Jessy, Joginder ،

PP.20,21 ، للمزيد عن مواقع المدن انظر الخرائط ( ١٣ ، ١٤ ) في نهاية هذا الكتاب .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقوط ملقا في أيدي البرتغاليين وهجرة العلماء والتجار من شبه الجزيرة

الملايوية إلى باقي جزر إندونيسيا ، انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب ، ص

وغيرها من الأعمال الاقتصادية المختلفة<sup>(١)</sup> . وحتى تكون هذه الهيئة فعالة ومؤثرة فقد نص الدستور الآتشي على تعيين عدد من المسؤولين والموظفين فيها ، ومن هؤلاء المسؤولين السكرتير العام للهيئة ، وشاه بندر : المشرف العام على موانئ المملكة وغيرها<sup>(٢)</sup> .

ونجد في قوانين مملكة آتشي الاهتمام الكبير بالمجالات الاقتصادية المختلفة مثل الحرف والصناعات ، وحماية البيئة بالحفاظ على الغابات واستغلالها بشكل منظم ، وحماية الحياة الفطرية في البلاد . بالإضافة إلى إنشاء أسطول تجاري عظيم تصل سفنه إلى الصين والهند وبلاد المسلمين في غرب آسيا ، وأجزاء من إفريقيا ، كما وصلت سفن هذه الدولة إلى القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup> .

كانت النشاطات الاقتصادية بشكل عام ، والتجارية بشكل خاص قوية ونشطة في أغلب جزر إندونيسيا الشرقية والغربية ، ولكن الأجزاء الغربية كانت أقوى وأعرف بحكم قربها من الممارسات التجارية العالمية التي تربط بين بلاد الصين شرقاً والهند وبلاد العرب والمسلمين غرباً . والذي جعل النشاط الاقتصادي الإسلامي في بلاد الأرخبيل جيداً إنما يعود إلى موقع هذه الجزائر الاستراتيجي ، ووفرة مواردها الطبيعية ، وكذلك إلى وصول الإسلام وتغلغله في هذه الجزيرة وهذا مما جعل النظام الاقتصادي الإسلامي يسود في أنحاء البلاد ، ومن ثم أصبح جميع

---

(١) تُعد دولة آتشي من الدول الإسلامية الكبرى التي خدمت شتى الجوانب الحضارية الإسلامية الكبرى في بلاد الملايو . للمزيد انظر : طه ، مرزوقي ، ص ٤٧٥ وما بعدها ، شلي ، رؤوف ، ص ١١٠ وما

بعدها **Khoo, Gilbert, P.3, Zuber, Uthman, P.110**

(٢) المراجع نفسها . للمزيد انظر : مسلم ، أحمد بخاري ، ص ٢٣٩

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حضارة مملكة آتشي السياسية والحضارية ، والمستوى الذي وصلت إليه في المجالات الاقتصادية المختلفة وبخاصة النشاطات التجارية ، انظر : شلي ، رؤوف ، ص ١١٠ ، طه ،

مرزوقي ، ص ٤٧٤ وما بعدها . **Said, M. Atjeh, PP. 101, 102.**

شرائح المجتمع يعملون ، وهذا مما حقق الاستقرار والرخاء لجميع طوائف الشعب ، مع حفظ الحقوق والواجبات لكل فئة أو طائفة منهم<sup>(١)</sup>.

### خامساً : ملامح الحياة الثقافية والفكرية :

كان يعيش المجتمع الملايوي حياة بطش واضطهاد ، يوم أن كانت الممالك الهندوكية هي صاحبة الحل والعقد في البلاد . وهذا القهر لم يقتصر على الحياة السياسية والإدارية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية فقط ، وإنما امتد إلى الثقافة والفكر ، حتى صار العقل الملايوي مغلقاً ، فلا يصدر عنه إلا التقليد الأعمى للرؤساء والملوك الهنادكة والبوذيين في طول البلاد وعرضها<sup>(٢)</sup> .

وعند وصول الإسلام إلى بلاد الأرخبيل جلب معه حرية الفكر والإبداع ، ومن ثم تحررت عقول الملايويين من البدع والخرافات التي رسخها فيهم ساستهم الأوائل ، واهتدوا إلى منهج التفكير الواقعي ، وإخلاص العبادة لله الواحد القهار ، وترك عبادة غيره سبحانه من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع<sup>(٣)</sup> . ومن أعظم

(١) ينطبق هذا الكلام على المجتمعات الإسلامية أيام العصر الذهبي للإسلام والمسلمين في بلاد الملايو ، خلال العصر الإسلامي الوسيط (ق ٧ - ١٠هـ / ق ١٣ - ١٦م) . أما العصر السابق أو التالي لهذه الحقبة فلم تكن أوضاع شعوب الملايو جيدة ، وذلك لسوء نظام الحكومات التي تسلطت على رقاب السكان . فاهنادكة والبوذيين ، قبل القرن (٧هـ / ١٣م) ، كانوا قوة محتكرة مستبدة بالشعب ومصالحه . ثم جاء الغربيون الصليبيون الغاصبون بعد القرن (١٠هـ / ١٦م) فنكلوا بالعباد ، واغتصبوا بلادهم ، واحتكروا ثرواتهم ، مع الحرص على نشر ثقافات ومبادئ وأفكار تحارب الإسلام ، ونشر الأمية والجهل والفوضى بين عامة الناس .

(٢) للمزيد عن سياسة وفلسفة الممالك الهندوكية في بلاد الملايو ، انظر : رحمت ، حاج ، ص ١٧١ ، ١٨٦ ، ٢٤٠ ، ٢٩٦ ، كيا ، عبد الوهاب ، ص ٢٣ - ٣٠ ، عبد الكريم ، صفة ، ص ٧١

VLeke, B, PP.18,19

(٣) الإنسان لم يخلق إلا لعبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه . قال الله تعالى { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يُطعمون } . سورة الذاريات . الآيتان ( ٥٦ ، ٥٧ )

وميزات الدين الإسلامي على الحياة الثقافية والفكرية أن حث على التعليم والتعلم ، ومحاربة الأمية بشتى الطرق والوسائل (١) .

والمتابع لحركة المد الإسلامي الأولى يجد أن الدعاة والتجار هم عماد نشر الثقافة الإسلامية في نواح كثيرة من البلدان التي وصلوا إليها (٢) . وهذا ما حدث مع بلاد الملايو فالتجار والدعاة الأوائل كانوا في حركة دؤبة للاتصال بشعوب الملايو وإبلاغهم هذا الدين السماوي العظيم . وفي بدايات اتصاهم بالملايوين كانوا يبلغونهم دعوة الإسلام في أول الأمر بأسلوب الحوار الشفهي ، ثم تطور ذلك إلى لقاءات وحلقات للوعظ والتذكير بمناقب هذا الدين الإلهي ، وهكذا تطور الأمر على مر العقود والقرون الإسلامية الأولى إلى أن أرسيت هنالك أماكن للعبادة والتدريس ، كما ظهرت فكرة بناء البيوت الصغيرة بجوار المساجد أو مساكن المعلمين ، وبخاصة بعد تكاثر أعداد الطلاب الراغبين في تعلم الدين الإسلامي ، وكثيرٌ منهم كانوا يأتون إلى مراكز الفكر والثقافة في الأرخييل من أماكن عديدة ومتفرقة وبعيدة (٣) ويطلق على الكتاتيب في بلاد الملايو أسماء : الفندق باللهجة الماليزية ، والبسنترين باللهجة

(١) أول ما نزل من القرآن الكريم آيات تحث على القراءة والتعليم . قال الله تعالى { اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم } سورة العلق ، الآيات ( ١ - ٥ ) .

(٢) هذا ما حدث في مناطق عديدة من العالم مثل : الهند ، والصين ، وبعض أجزاء من جمهوريات روسيا الإسلامية ، ونواح أخرى في جنوب شرق آسيا ، وبعض البلدان في أجزاء من إفريقيا وأوروبا — للمزيد انظر : أرنولد ، سير توماس ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) كانت مراكز التعليم والثقافة منتشرة في مدن وحواضر الممالك الإسلامية في بلاد الأرخييل مثل : ملقا ، وباساي ، وآتشيه ، وجرسيك ، وعمفيل ، وغيرى ، ودماك ، وتشربون ، وبنجر ماسين ، وترناتي وغيرهما . انظر : شلبي ، رءوف ، ص ٥٤ وما بعدها ، يانيا ، عبد العزيز ، ص ٢٧٥ وما بعدها ، سوتومو ، زين الدين ، ص ٥٦ وما بعدها . للمزيد أيضاً عن مواقع هذه المدن انظر الخرائط رقم ( ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ) في نهاية هذا الكتاب .

الإندونيسية<sup>(١)</sup> ويدرس في تلك الكتابيب علوم اللغة والشريعة الإسلامية مثل : القرآن الكريم ، وعلوم الإسلام الأساسية ، كالفقه ، والتوحيد والتفسير ، والحديث وعلوم العربية كالنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والمطالعة وغيرها<sup>(٢)</sup> .  
ويلاحظ أن الإسلام كان ذا آثار كثيرة وإيجابية على الملايويين ، وبخاصة في النواحي التعليمية والثقافية والفكرية ، ومن أهم تلك الجوانب ما يلي :

١ — كان من أهم دعائم محو الأمية عند الملايويين ، أن ابتكر المسلمون الأوائل طريقة لكتابة اللغة الملايوي ، ولأول مرة بالحرف العربي . وهذه الكتابة معروفة عند الشعب الملاوي باسم الكتابة الجاوية (Tulisan Jawi) وجل الأعمال الأدبية القديمة والمتأثرة بالأدب الهندي مكتوبة بهذه الحروف<sup>(٣)</sup> . وهذه الكتابة الجاوية تشبه

(١) تطلق هذه المصطلحات على مقر الأماكن التعليمية الإسلامية في بلاد الملايو. وهي عبارة عن أماكن يكون بها عادة مسجد ، ومساكن المعلم ، أو المعلمين ، وعشرات الأكواخ الصغيرة المبنية من الأخشاب كسكن للطلاب المقيمين في البسترتين أو الفندق . انظر : سامه ، روسني ، ص ٢٠١ ، فطاني ، عبد الغني يعقوب " من معالم التاريخ السياسي والعلمي في فطاني " ، ص ١٤١ الحسيني ، السيد علوي . المدخل إلى تاريخ الإسلام، ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) انظر : ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٠٨ ، شلبي ، رؤوف ، ص ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٢ وما بعدها ، سامه ، روسني ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ . وللمؤلف نفسه " ملامح تأثير الثقافة الإسلامية في بلاد الملايو " . مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ( مكة المكرمة : شعبان ١٤٢٠هـ / نوفمبر ١٩٩٩م ) ص ٨٧٩ وما بعدها ، يانيا ، عبد العزيز ، ص ٢٧٦ وما بعدها .

(٣) عُرفت اللغة الملايوية المكتوبة بالحروف العربية بـ ( الكتابة الجاوية ) ، والسر في ذلك أن الدعاة والتجار العرب الأوائل كانوا يعلمون الملايويين القرآن وبعض علوم الدين باللغة العربية ، كما أن فريقاً من المتكلمين بهذه اللغة كانوا يقدون على بلاد العرب خلال القرون الإسلامية الوسيطة فيتعلمون على العديد من علماء الشرق الأوسط ، وأحياناً يتولى بعضهم تأليف الكتب الدينية وطبعها في بعض حواضر الإسلام الأولى ثم إرسالها إلى بلاد الأرخبيل ، التي كان يطلق عليها أيضاً بلاد ( الجاوة ) . للمزيد انظر : عبد الرؤوف ، محمد . الملايو ، ص ٦١ ، عبد الرحمن ، محمد زكي . ص ٤٤ . شاهد الباحث العديد من الكتب والمخطوطات القديمة في إندونيسيا وماليزيا ، وهي مدونة بالكتابة الجاوية ، وذلك خلال زيارته لبلاد الملايو خلال فترات متقطعة من الأعوام ( ١٤٢٨ — ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٧ — ٢٠٠٩م ) .

الكتابة العربية تماماً ، حيث استعارت جميع الحروف العربية ، لكنها زادت عليها زيادات ، أو أدخلت عليها تعديلات طفيفة جداً<sup>(١)</sup> .

٢ — نزل القرآن الكريم باللغة العربية ، وانتشر الإسلام في بادئ الأمر بلغة العرب ، ومن ثم صار الدعاة والمدرسون والوعاظ والتجار وغيرهم والمسلمون الأوائل يتكلمون ويتعاملون مع الملايويين باللغة العربية ، وهذا مما أثر في ثقافة الملايويين . ففي المجال الديني مثلاً نجد كثيراً من الألفاظ، والعبارات العربية لازالت تستخدم في اللغة الملايوية حتى اليوم<sup>(٢)</sup> . والتأمل في تأثير اللغة العربية في اللغة الملايوية خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وما استمر وما بقي من ذلك في المجتمع الملايوي إلى اليوم ، يجد هناك مجموعتين كبيرتين من الألفاظ العربية الفصيحة والدخيلة على شعب الملايو . فالمجموعة الأولى تضم كلمات عربية بقيت وحافظت على بعض معانيها الأصلية<sup>(٣)</sup> .

(١) للمزيد عن تأثيرات الثقافات الهندوكية واللغة العربية وآدابها على شعوب بلاد الملايو، انظر: كيا ، عبد الوهاب ، ص ٢٦ ، طه، المرزوقي ، ص ١٣٥ وما بعدها ، عبد الرحمن ، محمد ، ص ٢٧ وما بعدها ، سامه ، روسني ، ص ٢٠٠ ، وللمؤلف نفسه انظر : " ملامح تأثير الثقافة الإسلامية في بلاد الملايو " مجلة جامعة أم القرى ( ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ) ، ص ٨٩٩ — ٩٠٣ ، فطاني ، عبد الغني . دور العرب في نشر الإسلام ، ص ٤٩ .

(٢) هذا ما لمسّه الباحث أثناء زيارته لماليزيا الغربية وبعض جزر إندونيسيا خلال فترات متقطعة من الأعوام ( ١٤٢٨ — ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٧ — ٢٠٠٩م ) . أيضاً لم يكن في بلاد الملايو يوم وصول وانتشار الإسلام فيها ، معانٍ ومصطلحات دينية ، كما هو الحال عند العرب والمسلمين ، ولهذا كان على الدعاة والمدرسين الأوائل أن يعلموا طلابهم بالعربية ، وهذا مما جعل مثل هذه المصطلحات ، وهي كثيرة جداً ، تنتشر وترسخ في ثقافة الشعوب الملايوية .

(٣) ومن الأمثلة على ذلك ( أسرة ، ومستول ، وشرح ، وصبر ) ومعاني هذه الكلمات عند الملايويين ( الأسرة ، والسؤال ، والشرح ، والصر ) . كما وجدت كلمات عربية كثيرة صاغها سكان الأرخيبيل بلغتهم لإيجاد كلمات جديدة وهي تعبر عن بعض الجوانب في الحياة الاجتماعية والفكرية وغيرها . مثل : ( حق ميليك ، وجورو حساب ) ومعنى ذلك لدى الملايويين ( الملك التام ، والحاسب ) ومعناها باللغة العربية الأم هو ( حق ، وحساب ) . : عبد الرحمن ، محمد زكي ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ١٤٨ ، عبد الرؤوف ، محمد ، الملايو ، ص ٦٢ . للمزيد انظر : سوتومو ، زين الدين ، ص ١١٨ ، سامة ، روسني ( الدراسة المنشورة في مجلة جامعة أم القرى الآنف الذكر ) ، ص ٩٠٦ ، ٩٠٧ .

أما المجموعة الثانية فهي تضم الكثير من الكلمات العربية الدخيلة التي تبدلت معانيها ومدلولاتها<sup>(١)</sup>

كما أثرت الحضارة العربية الإسلامية في الثقافة والأدب الإبداعي الملايوي مثل : النثر ، والشعر ، والقصة<sup>(٢)</sup>. وفي باقي المدونات والكتب العلمية الأخرى وبخاصة الكتب الدينية فقد ظهرت وانتشرت في بلاط بعض الممالك الإسلامية وبخاصة في عصر دولتي ملقا وآتشيه التي برز فيها علماء كبار وجدوا الدعم والرعاية من سلاطين البلاد<sup>(٣)</sup> ، ففي عهد سلطان ملقا ، منصور شاه ( ١٦٤ — ٨٨٢هـ / ١٤٥٩ — ١٤٧٧م ) . برز الشيخ مولانا أبو بكر الذي كان له منزلة عظيمة في عموم دولة ملقا ، ويذكره صاحب تاريخ الملايو فيقول : (( إن الغالبية العظمى من سكان ملقا ، ورجال الحكم ، وأهل البيت المالك حتى العلماء أنفسهم كانوا يتعلمون من مولانا أبو بكر ))<sup>(٤)</sup>. وفي عهد آخر سلاطين دولة ملقا ،

(١) من الأمثلة على ذلك ( ساعة ، مكتب ، ديوان ، مرید ، مادة ) . ومعانيها على التوالي ( الثانية ، المعهد العالي ، القاعة ، التلميذ ، القول البليغ ) . انظر : عبد الرحمن ، محمد ص ١٥٠ .  
(٢) كان عند الهنود الكثير من الحكايات والقصص التي انتشرت في بلاد الملايو ، ولما جاء الإسلام استمر الجانب القصصي والأدبي في بلاد الأرخبيل ، ولكنه صبغ بالصبغة الإسلامية ، وأدخل فيه الكثير من القصص التي تصور بطولات المسلمين في الفتوحات الإسلامية ، وتوطيد قدم الإسلام في أجزاء كثيرة من المعمورة . بالإضافة إلى مجالات الرواية ، والفكاهة ، والشعر وغيرها . للمزيد عن أسماء ومحتويات الكثير من القصص والحكايات ، والصور الشعرية التي عرفت عند الملايوين خلال العصر الإسلامي الوسيط . Lanang, Tun Seri, PP. 317 ff انظر : سوتومو ، زين الدين ، ص ٥٦ وما بعدها ، عبد الرحمن ، محمد ، ص ٥٥ ، سامة ، روسني ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، Winstedt , R.

### History Of Classical Malay Literature, PP. 73f.

(٣) للمزيد عما بذلته مملكتنا ملقا وآتشيه في دعم الحياة الحضارية في بلاد الأرخبيل وبخاصة في الجوانب العلمية والفكرية والثقافية ، انظر : طه ، مرزوقي ، ص ٤٨٧ ، شاکر ، محمود . إندونيسيا ، ص ٣١ ، الإندونيسي ، قهر الدين ص ٧٢ ، ٧٣ . Legge, J. PP. 52,53, Ahmad,

Haji Dasuki, PP.519,524, V Lekke, PP. 86,87.

(٤) انظر : Lanang, Tun Seri, PP. 182ff .

محمود شاه (٨٩٤-٩١٧هـ/١٤٨٨-١٥١١م) كان من أكبر العلماء وأشهرهم في البلاد الشيخ مولانا/ صدرجاهان ، ومولانا يوسف أو ( القاضي يوسف )<sup>(١)</sup> ، وكذلك الشيخ تون محمد بن أبي سيد الذي كان نابغاً في علوم الفقه والنحو والصرف<sup>(٢)</sup> . وفي بلاد آتشيه ، وفطاني في جنوب تايلند ، وفي جاوة : وكليمانتان وغيرها برز علماء وفقهاء عظام ، أمثال الدعاة العلويين وبعض المتصوفة الذي كان لهم شأن كبير في تبليغ الإسلام وتوطيده في كثير من جزر إندونيسيا<sup>(٣)</sup> ، بل هناك علماء من أبناء الأرخييل ذهبوا إلى بلاد العرب ، وتعلموا العربية ثم عادوا إلى أوطانهم ومعهم الكثير من الكتب الدينية المعروفة فعكفوا على ترجمتها والتعليق والإضافات على بعض أجزاءها<sup>(٤)</sup> . وأشهر الكتب التي ألفت وترجمت إلى اللغة المحلية ، وبخاصة في القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م) بعض المؤلفات في الحديث والتفسير ، والتوحيد ، والفقه ، والتصوف ، والأدب وغيرها . ومن تلك الكتب على سبيل المثال ، ما يلي :

١- إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي . ترجمه إلى اللغة الملايوية الشيخ/ عبد الصمد بن عبد الجليل الهمداني<sup>(٥)</sup> ، وسماه : سير السالكين في طرق

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) للمزيد عن هؤلاء الدعاة والمتصوفة انظر : الفصل الرابع في هذا الكتاب .

(٤) كانت بلاد العرب وبخاصة الحجاز من أهم المواطن التي يأتي إليها العلماء وطالاب العلم الملايويون . وفي مكة المكرمة توفرت الكتب الدينية الكثيرة المدونة ببعض اللغات التي يتكلمها مسلمو الأرخييل ، انظر : عبد الرؤوف ، محمد ، الملايو ، ص ٦١ ، يوسف ، علي بن محمد ، ص ٥١ ، عبد الرحمن ، محمد زكي ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) الشيخ عبد الصمد عاش مع والده عبد الجليل في ولاية قرح بشبه الجزيرة الملايوية ، ثم ذهب إلى مكة المكرمة وبقي بها فترة طويلة عاكفاً على ترجمة كتاب : سير السالكين ... انظر : يوسف ، علي بن محمد ص ٥١ .



السادة الصوفية . وتم طبع هذا الكتاب في جزئين في أواخر القرن  
(١١هـ/١٧م).

- ٢- ترجمة كتاب : تفسير البيضاوي ، للشيخ عبد الرؤوف فنصوري<sup>(١)</sup>
- ٣- كتب عديدة هي : الصراط المستقيم ، ودرة الفرائض في شرح العقائد ،  
وهدية الحبيب في الترغيب والترهيب ، وأسرار الإنسان في معرفة  
الروح والرحمن ، وجميعها للشيخ / نور الدين الرنيري<sup>(٢)</sup> .
- ٤- كتب أخرى كثيرة في التصوف ، والفقه وأصوله ، وغيرها من العلوم  
الشرعية ، ومن مشاهير مدوني أو مترجمي تلك الكتب علماء كثيرون  
مثل: عبد الرؤوف سنكلي ، وهمزة الفنصوري ، وعبد الصمد  
الكلنتاني ، والحاج محمد صالح بن عبد الله ، وداود بن عبد الله  
القطاني ، وشمس الدين السومطري ، ومحمد بن إسماعيل بن داود  
القطاني ، وإدريس المرباوي وهناك غيرهم علماء وشيوخ آخرون  
كثيرون<sup>(٣)</sup>

وخلاصة القول : إن الإسلام غير ملامح الحياة السياسية والحضارية في  
بلاد الملايو ، بعد أن كانت تعيش في جاهلية جهلاء تحت ظل القوى الهندوكية  
المتسلطة على رقاب الملايويين . وعند قيام الدول الإسلامية في أرض الأرخبيل  
ازدهرت جميع مجالات الحياة ، وصار القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والفكر  
الإسلامي العام هو النظام الذي يسود البلاد . بل صارت الدول الإسلامية يؤازر

(١ - ٢) للمزيد عن هذين العالمين ، انظر : الإندونيسي ، قهر الدين ، ص ٧٣ ، الحبشي ، عبد القادر ،  
ص ٤١٦ يوسف ، علي بن محمد ، ص ٥٩ .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن هؤلاء العلماء انظر : الحبشي ، عبد القادر ، ص ٤١٦ ، سوتومو ، زين  
الدين ، ص ٥٦ ، الإندونيسي ، قهر الدين ، ص ٧٣ ، يوسف ، علي بن محمد ، ص ٥٠ - ٥٣

Winstedt, R. A History of Classical al Malay, PP. 136, 137ff.

بعضها البعض سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وثقافياً وفكرياً . واستمر وضعها على هذا النهج حتى جاء المستعمر الغربي الصليبي الغاصب ، فبدأ الوضع يتبدل إلى الأسوأ نتيجة للسياسات الاستعمارية العدائية من قبل المستعمرين ، كما أن وجود الخونة المؤيدين لسياسات الغرب ، وجلهم من أبناء البلاد الأصليين ، كان خيراً معين لتنفيذ مخططات البرتغاليين والهولنديين وغيرهم من الغزاة الغربيين<sup>(١)</sup> .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن سياسات الغربيين الصليبيين في بلاد الأرخييل انظر : سميث ، ديتس ، ص ٥٩ وما بعدها ، الحبشي ، عبد القادر ، ص ٤٨١ وما بعدها ، شاكر ، محمود . إندونيسيا ، ص ٣٦ وما بعدها ، شليبي ، رؤوف ، ص ١٣٦ وما بعدها .

الخاتمة :  
النتائج وتوصيات  
الدراسة

ظهر الإسلام ، خاتم الأديان ، في جزيرة العرب وانتشر في أصقاع كثيرة من المعمورة . وبلاد شرق آسيا من البلدان التي أخذت بحظ من الإسلام منذ القرن الهجري الأول ( السابع الميلادي ) . والفاحص لأحوال العرب قبل الإسلام يجدهم أصحاب ريادة ودراية بالتجارة ، فكانوا يجوبون أنحاء العالم آنذاك ، وكانت أوطان الشرق الأقصى من النواحي التي تردد عليها التجار العرب ، بل كانوا الوستاء في نقل بضائع الصين والهند وبلاد الأرخييل إلى عوالم قارتي آسيا وأوروبا . وعند ظهور الإسلام في الحجاز في عهد الرسول ﷺ ، حُمِلت أخباره مع التجار العرب الأوائل إلى كل من شبه القارة الهندية ، وجزر إندونيسيا وشبه الجزيرة الملايوية (ماليزيا الغربية) والصين ، بل ذهب بعض المسلمين الأوائل إلى تلك الأصقاع البعيدة واستوطنوا فيها منذ القرن الهجري الأول ( السابع الميلادي) .

كانت الأجناس الهندية ، والملايوية ، والصينية تشكل غالبية سكان تلك الأوطان ، وكانت الثقافة والحضارة الهندية صاحبة النفوذ الواسع ثقافياً وفكرياً وعقدياً في أرخبيل الملايو . والدارس لأحوال تلك البلاد وبخاصة جزائر إندونيسيا وماليزيا قبل القرن (١هـ / ٧م) يجد أن السيادة الفعلية فيها إنما كانت للقوى الهندوكية ، وكانت العقائد الهندية والبوذية وأيضاً الوثنية منتشرة في ربوع تلك الديار .

وإذا حاولنا معرفة تاريخ وصول وانتشار الإسلام في تلك الجزر فإننا نجد فريقاً كبيراً من الباحثين المستشرقين ومعهم بعض المؤرخين الأندونيسيين والملايويين يؤرخون القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) بأنه التاريخ الفعلي لوصول الإسلام إلى بلاد الملايو ، وهذه نظرية خاطئة ؛ لأن الإسلام بشكل فردي وغير رسمي وصل على أيدي التجار والدعاة الأوائل إلى أرخبيل الملايو منذ القرن (١هـ / ٧م) ، أما الزمن (٧هـ / ١٣م) الذي دافع عنه كثير من الباحثين الغربيين والملايويين فهو الذي صار فيه الدين الإسلامي الدستورَ الحقيقي لبعض البلدان في شبه الجزيرة الملايوية ونواحٍ أخرى من جزائر إندونيسيا الغربية . والفترة الممتدة من القرن

(١-٧هـ/٧-١٣م) إنما كانت عصور مخاض وانصهار للإسلام والمسلمين بين شعوب الأرخبيل البوذيين والهندوكيين والوثنيين . ولم يأت القرن (٧هـ/١٣م) إلا وقد أصبحت الإمارات والحكومات الإسلامية في أجزاء من بلاد الأرخبيل صاحبة الكلمة الأولى في مواطنها ، وما جاورها من البلدان .

وفي تلك القرون الأولى من عصر الإسلام كان العرب ومعهم العديد من الأجناس المسلمة الأخرى مثل: الفرس ، والهنود ، والملايوين يعملون جنباً إلى جنب في نشر الإسلام في بلدان عديدة من الشرق الأقصى . وكانت جزائر إندونيسيا وشبه الجزيرة الملايوية ( ماليزيا الغربية ) من أكثر البلدان التي فازت بهذه الجهود المتضافرة في استقبال الإسلام وتوطيده بين سكانها .

والإسلام ببساطته ، وعدالته ، وشموليته ساعد في انتقاله مع التجار والدعاة إلى جميع طبقات المجتمع ، وإذا كان في بادئ الأمر قد انتشر بين الأفراد وعامة الناس ، فإنه مع مرور الزمن وصل إلى منازل الوجهاء والساسة والأسر الحاكمة . عندئذٍ قارنوا هذا الدين الرباني الشامل العام بالأديان والعقائد الوضعية السابقة والسائدة عندهم ، ومن ثم اختاروا الإسلام الذي رفع من مكانتهم في جميع مجالات الحياة ، وحفظ حقوقهم العامة والخاصة . وهذا البيان لتاريخ انتشار الإسلام في تلك الأصقاع يتعارض مع الكثير من الآراء ووجهات النظر التي أوردها عدد من المستشرقين في بعض دراساتهم ، والتي سعوا من ورائها إلى المساواة بين الحضارتين والديانتين الهندوكية والإسلامية ، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فبخسوا دور العرب في نشر الإسلام ، وأكدوا على أن الهنود ومن بعدهم الأوروبيون المستعمرون كانوا أصحاب الفضل الرئيس في نشر الإسلام بين شعوب الأرخبيل . ولم يكن قولهم هذا مبنياً على مناهج علمية صادقة ، وإنما هي الكراهية والتعصب ، والحقد الدفين في قلوبهم للإسلام والمسلمين جعلهم يخرجون بهذه النتائج البعيدة عن الصواب ، بل ذهب بهم القول إلى أن الإسلام وصل إلى إندونيسيا وماليزيا عن طريق الجنس الهندي في شبه القارة الهندية ، ومن ثم خرجوا برأي أن الإسلام لم يصل مباشرة إلى بلاد

الملايو من منبعه الأصلي في بلاد العرب ، وإنما لحق به الكثير من التحريفات في أرض الهند ثم نقل إلى شعوب الملايو غير نقى وغير خالص من الشوائب . واستدلوا في وجهات نظرهم بالطرق الصوفية التي ظهرت مؤخراً في بلاد الملايو، بل ذكروا العديد من العادات والأعراف والتقاليد التي كانت ولازال بعضها منتشراً في بلاد الأرخييل وهي منقولة عن الحضارة الهندية أو متأثرة بها . وفي العصر الإسلامي الوسيط (ق٧- ق١٠هـ / ق١٣- ق١٦م) ، وصل النفوذ الإسلامي ، سياسياً وحضارياً ، أوج قوته وازدهاره في بلاد الملايو ، ومن ثم امتازت قوى الهندوكية والبوذية والوثنية. وفي مطلع القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) وصلت بعض القوى الغربية الصليبية إلى أرخييل الملايو، ودخلت هذه البلدان في سلسلة من الصراعات والحروب الطاحنة مع البرتغاليين والأسبان والهولنديين ، وكان المآل — من أسف — أن وجدت هذه القوى الصليبية ، وغيرها من الحكومات الغربية طريقاً إلى استعمار تلك الأوطان ، والسعي إلى تغيير هويتها الثقافية والفكرية والحضارية والإسلامية .

وفي نهاية هذه الدراسة خرجنا بالعديد من النتائج والتوصيات التي ندرجها في

النقاط التالية :

١ — كانت جزائر إندونيسيا وشبه الجزيرة الملايوية ( ماليزيا الغربية) تزرح تحت سيطرة القوى والعقائد والثقافة الهندوكية والبوذية . ومنذ القرن الهجري الأول ( السابع الميلادي ) بدأ الإسلام يتسرب إلى قلوب شعوب الملايو ، ولم يأت القرن ( ٧هـ / ١٣هـ ) إلا وبعضاً من نواحي الأرخييل قد صار جزءاً مسلماً ، ديناً ودولة ، واستمر انتشار الإسلام في ربوع أرخييل الملايو ، حتى القرن العاشر الهجري ( السادس عشر الميلادي ) . وفي تلك القرون الأربعة ( ق٧- ق١٠هـ / ق١٣- ق١٦م) كان العصر الذهبي للإسلام والمسلمين في تلك الجزائر .

٢ — لم تقف العداوة بين الشرق والغرب ، بل بين الإسلام وغيره من القوى الغربية الصليبية ، عند حد الصراعات الدامية التي وقعت بين البلدان العربية

والإسلامية والغرب الصليبي في الشرق الأوسط . وإنما امتد هذا الصراع العقدي إلى أقصى الشرق الأقصى ، ونقلت بعض الدول الأوروبية الصليبية حروبها إلى الهند وجزائر إندونيسيا وماليزيا وغيرها؛ وذلك من أجل القضاء على الحكومات الإسلامية التي ظهرت في تلك البلدان . وكان البرتغاليون أول من اصطدم بالمسلمين في ماليزيا وإندونيسيا ، ولحق بهم الأسبان والهولنديون ثم الإنجليز والأمريكان وجميعهم يسعون إلى القضاء على نفوذ الإسلام في تلك الأوطان . والناظر إلى أحداث التاريخ الحديث والمعاصر في تلك الأوطان يجدها كارثية بكل ما تعنيه الكلمة . فقد نجحت بعض القوى الغربية الصليبية في احتلال الأوطان ، وسفك الدماء ، واحتكار الثروات ، وممارسة جميع أنواع التعذيب والإهانة لشعوب تلك البلدان ، بل عملوا ما في وسعهم على مسخ هوية الملايويين الإسلامية ، وتغريب جميع جوانب حياتهم السياسية والحضارية ، ومع كل الجهود التي بذلوها ولازالوا يبذلونها من دمار وخراب ، فإنهم عجزوا كلية عن اجتثاث الإسلام من قلوب شعوب تلك الجزائر ، بل ظهر في فئات الشعب المختلفة من حارب وتصدى لهذه الهجمات الصليبية الشرسة ، والنصر ياذن الله تعالى سوف يكون من نصيب المسلمين المؤمنين المجاهدين الصادقين .

٣ — إن بلاد الأرخبيل ( إندونيسيا وماليزيا ) تعد من وجهة نظرنا منطقة ثغور إسلامية ، فهي تقع في أقصى الشرق الأقصى وتحيط بها الدول الكافرة من كل مكان ، والمستولية لمقاة على عاتق الدول العربية والإسلامية، أن تكون على اتصال مستمر مع حكومات وشعوب تلك الجزائر ، بالمساندة والدعم بكل ما يستطيعون حتى يبقى الإسلام عالياً قوياً في ذلك الأرخبيل الإسلامي الصادق . والذي يجعلني أنادي بهذا ما لمستة في أثناء جمع المادة العلمية في هذا الكتاب ، وأثناء زيارتي لتلك الجزر فقد اتضح لي الفقر المعرفي الذي نعيشه معاصر العرب بشأن تاريخ وحضارة تلك البلاد ، والأعجاد التاريخية

الشامخة التي عاشتها الحضارة الإسلامية في تلك الجزر خلال العصور الإسلامية الوسيطة . وللأسف فإن معظم جامعاتنا ومؤسساتنا الثقافية والفكرية في البلاد العربية تكاد تكون شبه خالية من الدراسات الحضارية والثقافية والتاريخية الخاصة بتلك الجزر الإسلامية العريقة ، فحذا لو ارتفعت همة بعض الجامعات والمؤسسات الثقافية والفكرية في بلادنا إلى حيث تقوم بتأسيس بعض المراكز البحثية والعلمية الخاصة بالشرق الأقصى وبخاصة الدول الإسلامية منها. وهذا بدون شك سوف يردم الهوة الثقافية التي نعيشها نحن العرب ، ومن ثم يجعلنا على اتصال ثقافي وفكري وحضاري ياخواننا في كل من إندونيسيا وماليزيا والفلبين وغيرها .

٤ — إن الباحث والمتجول في بلاد الأرخيل يجد النشاط المنقطع النظر الذي تبذله القوى الهندوكية والصينية والغربية الصليبية من أجل مسخ هوية تلك الأوطان والقضاء على دعوة الإسلام هناك ، وإحلال النصرانية وبعض الأديان والعادات والتقاليد الشيطانية في شتى جوانب الحياة محل الآداب الإسلامية . وإذا كان ثمة بعض الجامعات أو المؤسسات أو الدعاة المجاهدين الذين يبذلون جهوداً كبيرة في التصدي لتلك الهجمات الشرسة ، فإنهم — في مجملهم — ذوو جهود محدودة وضعيفة أمام ما يُدفع ويُخَطَّطُ له من قوى هندوكية وبوذية وصليبية غربية كبيرة وقوية . وأعود فأكرر: إن دول العرب والإسلام يجب أن تكون يقظة وعلى دراية بكل ما يُحاك للإسلام والمسلمين وبخاصة في الأوطان النامية مثل : إندونيسيا وماليزيا وغيرها .

٥ — نحن معاشر الباحثين والأكاديميين والمراكز والأقسام العلمية والفكرية والثقافية في أوطاننا العربية يجب أن نكون على صلات جيدة ياخواننا المسلمين في بلاد الملايو ، وينبغي أن نوجه طلابنا للدراسات العليا وكذلك الباحثين والمهتمين في مؤسساتنا بأن يولوا تلك البلاد بعض الاهتمام والتركيز في أبحاثهم ودراساتهم وندواتهم ومؤتمراتهم . كما يجب أن نكون على اتصال



بالمراكز العلمية والأكاديمية ، والباحثين والأكاديميين في تلك الجزائر البعيدة ، فنجالسهم ونتصل بهم ، وتبادل معهم ألوان المعرفة الأكاديمية والثقافية والفكرية ، ونحن على يقين أن سلوك مثل هذا الطريق سيبص في النهاية في خدمة الإسلام والمسلمين ، ودعم الفكرة الإسلامية ، والإخوة الإسلامية ، وهو نصر للإسلام على موجات التغريب ومسح الهوية.

٦ — اتضح لنا في أثناء تجولنا في بلاد إندونيسيا وماليزيا تأثر أهلها بالحياة الغربية البحتة ، وللأسف فإن القائمين على شئون التعليم وبخاصة في الجامعات والمؤسسات التعليمية العامة والعالية مغرمون ومعجبون بكل وافدٍ من بلاد الغرب ، وهذه كارثة يعيشها معظم المسلمين في البلاد العربية والإسلامية . والتأثر بالغرب في الجوانب الإيجابية أمرٌ محمود ولكن ما يُقتبس من السلبيات يفوق الإيجابيات ، وهذا مما شاهدناه ولمسناه في بلاد ماليزيا وإندونيسيا ، ومن ثم أثر ذلك في الدعوة الإسلامية ، والسير على هدي الدعاة المسلمين الصادقين ، وأدى إلى استفحال أمر التبشير والبعد عن سلوك المنهج القويم . وهذا مما يضاعف المسؤولية على حكومات الدول العربية ، وعلى جامعاتها الإسلامية مثل : جامعة الأزهر في مصر وجامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والجامعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية . فعليهم أن يهبوا للاتصال علمياً ودعواً وثقافياً وفكرياً وحضارياً بإخوانهم المسلمين في بلاد الأرخبيل ، ويتعاونوا معهم فيما يجعل راية الإسلام هي العالية الصادقة المناضلة في كل ما يُحاك ويخطط لتلك البلاد الإسلامية القاصية ، وأن يحرصوا على أن تكون دعوة الإسلام في تلك الأوطان صافية نقية خالية من كل شائبة ، وأن ينتبهوا إلى ما يدبر لها من مخططات خبيثة كافرة لا تريد أي رفعة أو نصر للإسلام والمسلمين . والله أسأل أن يعلي كلمة الحق في كل صقع من أصقاع الكرة الأرضية ، وأن يجعل الإسلام هو الدين المنتصر الذي يدافع عنه ويهتدى به عبادُ الله الصادقون المخلصون . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .